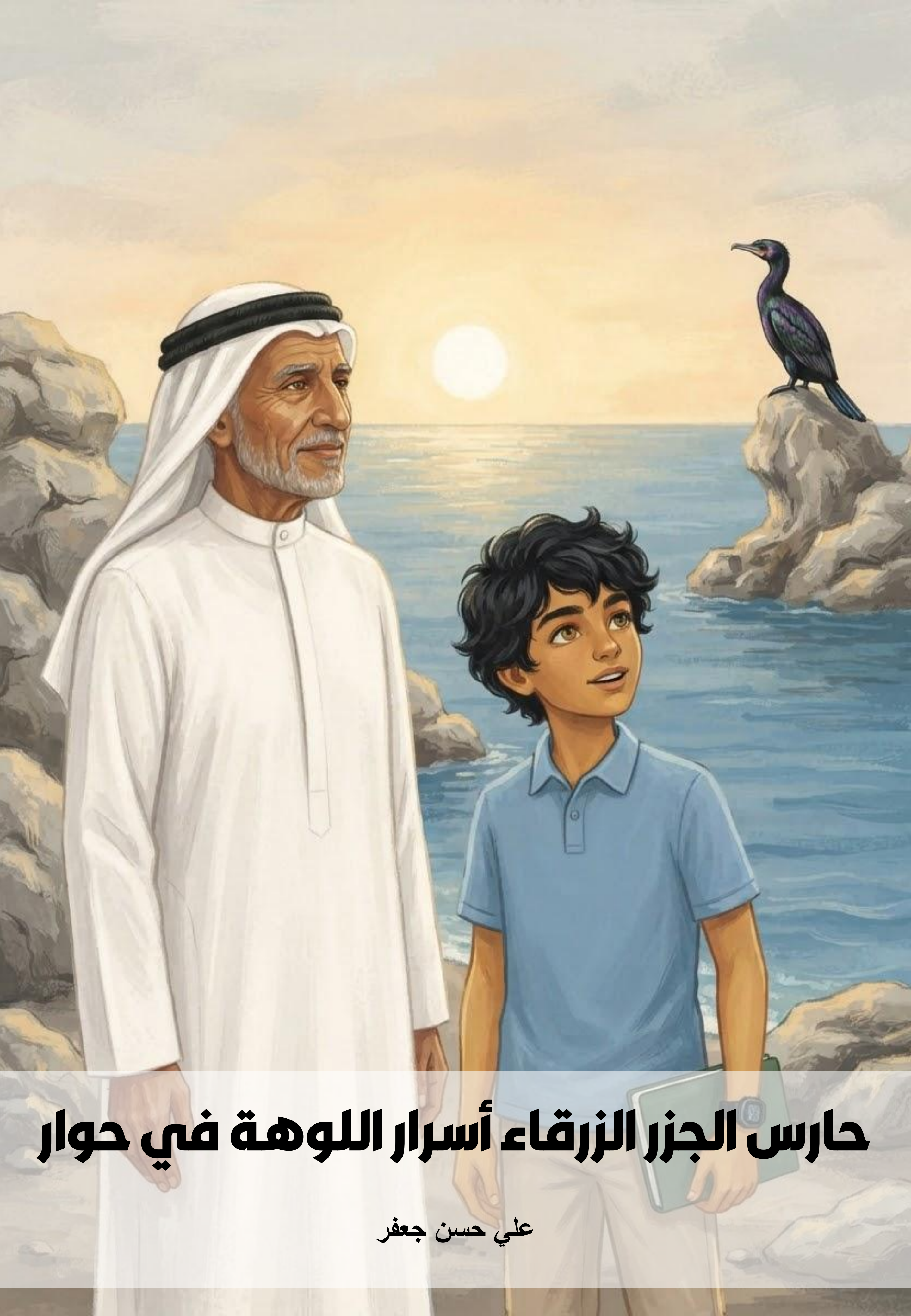


حارس الجزر الزرقاء أسرار اللوهة في حوار

علي حسن جعفر

تتسلل أشعة الشمس الذهبية فوق جزر حوار الهادئة بمملكة البحرين، حيث تلتقي زرقة السماء بصفاء الخليج. يسير الحاج سلمان بوقاره المعهود، وبجانبه حفيده محسن ذو الأربعة عشر عاماً، يرقبان السواحل الصخرية. في هذا المكان الفريد، تبدأ قصة طائر "اللوهة" أو الغاق السقطري، الذي اتخذ من هذه الجزر وطناً وملاذاً آمناً بعيداً عن صخب العالم.



اقترب محسن وسلمان من منحدر صخري ليشاهدا الطائر عن قرب. بدت "اللوهة" في غاية الأناقة بريشها الأسود الفاحم الذي يعكس لمعاناً زيتياً أرجوانياً تحت الضوء. لفت انتباه محسن عيناها الخضراوان اللتان تشعان كزمردتين وسط سواد الريش، ومنقارها القوي المعقوف عند النهاية، المصمم بدقة ليناسب حياتها كصيادة ماهرة في أعماق البحار.



فجأة، انطلق الطائر نحو الماء برشاقة مذهلة. تعتبر اللوهة غواصاً لا يبارى؛ فهي تستخدم جسمها الانسيابي لشق الأمواج، وتستعين بأقدامها الوتدية القوية للدفع في الأعماق. يراقب محسن من بعيد كيف يختفي الطائر تحت السطح لثوانٍ طويلة، يسبح بمهارة عالية بحثاً عن طعامه المفضل، متناغماً تماماً مع بيئته البحرية الغنية.



في أعماق المياه، تلاحق اللوهة أسراب السردين الفضية والأحياء البحرية الصغيرة. وبضربات دقيقة من منقارها المعقوف، تقتنص فريستها ببراعة فائقة. هذا السلوك في الصيد ليس مجرد وسيلة للغذاء، بل هو جزء من دورة حيوية تضمن توازن البيئة البحرية في جزر حوار، حيث توفر المياه الدافئة والموارد الوفيرة كل ما يحتاجه هذا الطائر ليزدهر.



مع حلول فصل الخريف، تتبدل وتيرة الحياة في المستعمرة. يبدأ ذكر اللوهة وأنثاه رحلة بناء العش في تناغم مدهش. يتنقل الزوجان بين الشاطئ وموقع التعشيش، يجمعان الحصى الصغير والأعشاب البحرية اليابسة. يراقب محسن كيف يحمل كل منهما المواد بمقاره، لتبدأ عملية هندسية فطرية تهدف لتأمين الجيل القادم.



يرتفع العش تدريجياً ليأخذ شكلاً هندسياً دقيقاً؛ فهو منخفض فنجاني محفور في الأرض، ومدعم بمزيج من الطمي والحصى والأعشاب ليصمد أمام رياح الجزيرة. هذا البناء المفتوح يوفر للطيور رؤية واضحة للمكان، ويسمح للزوجين بالتناوب على حراسة مملكتهما الصغيرة وسط آلاف الأعشاش المماثلة التي تغطي مساحات واسعة من الجزر.



داخل هذا العش الهندسي، تضع الأنثى ثلاث بيضات فريدة، تتميز بلونها الأزرق الشاحب المائل للخضرة، والمغطى بطبقة جيرية بيضاء رقيقة. تبدأ هنا مرحلة الصبر والانتظار؛ حيث يتناوب الأبوان على حضانة البيض لمدة ثمانية وعشرين يوماً، موفرين له الدفء والحماية من حرارة الشمس المباشرة أو برودة الليل.



بعد انقضاء فترة الحضانة، يفقس البيض وتخرج الفراخ الصغيرة إلى الحياة. تبدو الفراخ في أيامها الأولى ضعيفة، يغطي أجسامها زغب بني داكن ناعم. تفتح الصغار مناقيرها الصغيرة طلباً للغذاء، بينما ترقبها الأم بعناية فائقة، مستعدة لبدء رحلة الرعاية الشاقة لضمان نمو هذه الكائنات الصغيرة في بيئة حوار القاسية والجميلة في آن واحد.



يتشارك الأبوان بجد في إطعام الصغار، حيث يجلبان الأسماك المهضومة جزئياً ليضعاها في مناقير الفراخ الجائعة. ومع مرور الأسابيع، تنمو الفراخ وتقوى أجنحتها، وتبدأ بالتجمع في "مجموعات حضانة" كبرى، وهي سلوك اجتماعي ذكي يوفر لها الحماية والتدريب الجماعي قبل أن تنطلق في أولى رحلاتها نحو البحر الواسع.



تتبدل الأجواء فجأة لتصبح قاتمة؛ تظهر مخلفات التلوث البحري والبلاستيك وشباك الصيد المهملة وهي تحاصر الطيور في بيئتها. نظر محسن بحزن إلى طائر تعثرت قدماه بخيوط نايلون قديمة، بينما هز الحاج سلمان رأسه بأسى، مدركاً خطر الانقراض الذي يهدد هذا الطائر الفريد بسبب التوسع الساحلي والتلوث.



انتهى المطاف بمحسن وهو يقف بحماس وسط ساحة مدرسته، يشرح لزملائه الطلاب من خلال رسوماته وملاحظاته أهمية حماية موائل الطيور البحرية. وفي تلك اللحظة، كان سرب من "اللوهة" يطير بحرية في السماء الصافية فوق البحار الزرقاء، يعكس ريشه اللامع أشعة الشمس، معلناً انتصار الأمان في فضاء الحرية.



يقف محسن والحاج سلمان في نهاية رحلتهما، يراقبان أسراب اللوهة وهي تحلق فوق المياه الزرقاء في تشكيلات مهيبة. لقد تعلم محسن أن هذه الطيور، بعيونها الخضراء وريشها اللامع، هي روح جزر حوار النابضة. ومع غياب الشمس، تظل "اللوهة" رمزاً للبقاء والجمال الطبيعي، تواصل دورة حياتها الفطرية في أمان ومودة فوق رمال مملكة البحرين.



النهاية

حارس الجزر الزرقاء أسرار اللوهة في حوار

علي حسن جعفر

الطبعة الأولى - ٢٠٢٦م